الفصل الثالث عشر

دعاء يونس

كان دعاء يونس ـ عليه السلام ـ حين ذهب غاضباً بسبب تكذيب قومه وإصرارهم على الكفر ، فابتلعه الحوت ، فانطلق لسانه في بطنه مسبحاً بحمد ربه ومعترفاً بذنبه ؛ فاستجاب الله له ، وأخرجه سالماً .

قال تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ـ٨٨] .

والنون هو الحوت ، وذو النون هو يونس عليه السلام الذي اشتهر بخروجه حياً من بطن الحوت الذي ابتلعه .

وقوله : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] : فسر بأن لانضيق عليه ، أو أن لانقدر عقوبة عليه .

قال عطاء : « فظن أن لانضيق عليه الحبس » .

وقال ابن زيد : « هو استفهام معناه : أفظن أن لن نقدر عليه ؟ » .

وقال الحسن : « معناه : فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه »[1] .

---

(١) الكشاف للزمخشري ٢/ ٥٨١ ، تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٢ ، قصص الأنبياء للثعلبي : ٢٧٥ـ٢٧٦

والمقصود بالظلمات : ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت .

والغم هو الكرب والضيق الذي كان فيه .

وقد روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ : « أن يونس النبي ـ عليه السلام ـ بدا له وهو في بطن الحوت أن يدعو الله بهذه الكلمات : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » .

فأقبلت الدعوة تحت العرش . فقالت الملائكة : يارب! هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة! فقال : أما تعرفون ذلك ؟ قالوا : لا يارب ، ومن هذا ؟ قال : عبدي يونس . قالوا : عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة! أولا يُرحم بما كان يصنع في الرَّخاء فتنجيه من البلاء ؟ . قال : بلى ، فأمر الحوت فطرحه في العراء[1] .

وقد روي ما يدل على فضل الدعاء بمثل ما دعا به يونس ـ عليه السلام ـ في حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى .

قال : فقلت : يا رسول الله! هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين ؟

قال : هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها .

ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ـ٨٨] . فهذا شرط من الله لمن دعاه به)[2] .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (تفسر الطبري ٢٣/ ١٠٠ تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٢) .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره : ١٧/ ٨٢ وابن كثير في تفسيره : ٣/ ١٩٣ .

وعن سعد قال : « من دعا بدعاء يونس استجيب له »[1] .

وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلم كلمة لايقولها مكروب إلا فرج الله عنه ، كلمة أخي يونس : فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين »[2] .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى له »[3] .

وفي لفظ للحاكم : فقال رجل أكانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ألا تسمع إلى قول الله : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] [الأنبياء : ٨٨] » .

وما كان يونس ـ عليه السلام ـ ليخرج سالماً من بطن الحوت لولا عبادته وتسبيحه ودعاؤه . قال الله تعالى :

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ .

[الصافات : ١٤٣ـ١٤٤] .

* * *

(١) رواه ابن أبي حاتم تفسير ابن كثير٣/ ١٩٣ .
(٢) رواه ابن السني .
(٣) رواه الترمذي والنسائي وأحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
(٤) فتح الباري ١١/ ١٤٧ .